مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهـــــــرام

التاريخ : ١٩٧٤/٥/١٤

ورقـــة أكـــتوبر

وثيقـــة الثـــورة السـيـــاسية بعـد التصـــحيح والعبـــور

اعداد مركز الدراسات السياسية والاســـتراتيجية بالاهـــرام

يكاد يكون من المستحيل فهم أية وثيقة سياسية فهما موضوعيا شاملا اذا ما جرى تجـــاهل الظروف التى مهدت لها والاطار الذى أحاط بظهورها . فالوثيقة السياسية هى احدى مظـــاهر الفكر الانسانى الذى لا يمكن فصله عن المنـــاخ الذى أفرزه وتفاعل معه ، تأثر بـــه وأثر فيه . وكل وثيقة ســـياسية بلغت مستوى معينا من التكامل تتضمن تحليـــلا لمـــا هو قائم وتصورا لما يجب ان يـــكون كهدف للتطور ثم تحديدا للطريق الذى يتعين اتباعه للانتقال مما نحن فيه الى ما يجب ان نكون عليه ، مما هو قائم الى ما يجب ان يقوم .

واذا ما وجهنا اهتمامنا بشكل خاص الى بيان ٣٠ مارس وورقة اكتوبر فسنجد انهما لا يمثلان خروجا على هذه المقولة. فالتفاعل بين كل من هاتين الوثيقتين وبين الظروف التى احاطت بهما حقيقة واضحة، فقد جاء بيان ٣٠ مارس من ناحية عقب نكسة عسكرية عنيفة ومفاجئة لحقت بنا فى يونيو ١٩٦٧ أفـــرزت من بين مـــا أفرزت موجة من مراجعة النفس ومحاسبة الذات وفقدا لسلبيات التجربة ، وذلك باعتبار أن جانبا هاما من اسباب ماحدث يكمن فى الواقع والابنية والممارســـات السياسية والاجتماعية القائمة وجـــاء بيان ٣٠ مارس محاولة للاجابة على هذا كله . وورقة اكتوبر من ناحية اخرى صيغت عقب انجاز اكتوبر المظيم وبعد أن اثيرت التســاؤلات حول معالم الطريق الموصل الى تحقيق اهدافنا ومهام المرحلة الجديدة التى اعقبت خروج قضيتنا من جمود اللا حرب واللا سلم بما يتضمنه ذلك من بناء وتعمير واستكمال مهمـــة التحرير .

من هنا يمكن القول ان كلا من هاتين الوثيقتين ظهرت فى لحظة من تلك اللحظات التاريخية التى يقف فيها أصحاب التراث الحضارى العريق لمراجعة النفس وليس التراجع عن الاهداف ، ولتقييم الحاضر كى يحددوا مواضع اقدامهم ، ثم لاستشراف آفاق المستقبل والتحكم فى اتجاه خطواتهم نحو ما يريدون انجازه بدلا من تركها الظروف او التفاعلات التلقائية ، ذلك ان الفكر السياسى لاى مجتمع جدير بالحياة الكريمة هو فى التحليل الاخير محاولة للتصدى للتحديات الجديدة والاجابة على الاسئلة المتجددة وللتفاعل المستمر مع الواقع والممارسة واستخلاص الدروس المستفادة من التجارب وبلورة ايجابياتها والتنبيه لسلبياتها حتى يمكن تدعيم الاولى واسقاط الثانية .

ملامح بارزة فى ورقة اكتوبر :

واذا اردنا ان نحدد أهم الاضافات التى تقدمها ورقة اكتوبر فى اطار تطور التجربة المصرية ومن خلال التفاعل بين الفكر والممارسة يمكن القول انهما تضمنت عدة ملامح بارزة سواء على مستوى المنهج أو النظرة التى تناولت بها الواقع وحددت من خلالها ابعاد واتجاهات الحركة ، او على مستوى المضمون أو المحتوى لما عالجته من قضايا .

فعلى مستوى المنهج أكدت الورقة اولا على ضرورة أن نحتفظ فى تعاملنا مع الواقع وتطوراته واطرافه المؤثرة بثقتنا فى انفسنا وان نسقط نهائيا اسلوب التعامل بالمخاوف . وقد كان هذا أمرا طبيعيا . فورقة اكتوبر جاءت فى ظل مناخ جديد مرتبط بالانجاز السياسى والعسكرى العربى الذى تحقق فى اكتوبر ٧٣ لذا فقد حذرت الورقة من الانخداع بذلك الوهم القديم بأن العرب هم المستضعفون والمخدوعون فى كل صدام او مواجهة ، وان الطرف الاخر يملك دائما استراتيجيات وامكانيات لا قدرة لنا على مواجهتها ، رغم أن ما حققناه من انجازات شهد بها العدو قبل الصديق يكفل لنا القدرة على التعامل مع كل التحديات ومواجهة كل الاحتمالات بثقة الفعالين بعيدا عن عقد وحساسيات المهزومين .

والورقة تشير ثانيا الى ضرورة الاستيعاب المستمر للمتغيرات الجديدة والدخول معها فى حوار لا ينقطع وهى تدعونا لتجنب الوقوع فى براثن الجمود العقائدى والصيغ الجاهزة فالواقع ملىء بالمتغيرات الجديدة بعضها نصنعه نحن ومثاله الواضح حرب اكتوبر وظهور العرب كقوة مؤثرة فى عالم اليوم وامتلاك بعض دولهم المنتجة للبترول لفوائض ضخمة من رؤوس الاموال يمكن استثمارها لخدمة التنمية العربية ، والبعض الاخر من المتغيرات تصنعه حركة غيرنا وعلينا ان نأخذه فى اعتبارنا والامثلة على هذا عديدة من بينها الوفاق الدولى بما يمارسه من تأثيرات على منطقة حساسة كالشرق الاوسط ومن بينها بروز الدور الاوروبى على نحو يمكن ويجب استثماره فى دعم حرية حركتنا والحد من مخاطر الاستقطاب الدولى . ثم هناك انفتاح النظم الاقتصادية والاجتماعية المختلفة على بعضها البعض لتحقيق مصالحها المشتركة وكل هذه المتغيرات لم تكن قد تبلورت بعد حين وضع بيان ٣٠ مارس ولكنها كانت قد اصبحت حقائق قائمة حين ظهرت ورقة اكتوبر .

كما تناولت الورقة ثالثا أهمية امتلاك رؤية مستقبلية فوضعت استراتيجية حضارية متكاملة ذات معالم محددة تمتد حتى عام ٢٠٠٠ ليتم تقدمنا نحو اهدافنا على أسس مدروسة بعيدا عن العفوية والارتجال ، وبتخطيط طويل الاجل يستشف اتجاهات التطور خلال ربع قرن مقبل على ان يتضمن هذا خططا لاجال متفاوتة تحدد لكل مرحلة مهامها المرتبطة بالاهداف الاستراتيجية العامة فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية واعادة صياغة ملامح خريطة جديدة لمصر تحقق لشعبنا الامن والرفاهية .

أما من حيث المضمون فان ورقة اكتوبر تؤكد من ناحية على ضرورة الاهتمام بالانسان كمحور للتنمية بمفهومها الشامل وكصانع للتقدم وهدف له وضامن لتحقيقه وقد جاء هذا التأكيد في مواجهة ممارسات مراكز القوى بما تضمنته من تجاوزات واهدار لكرامة الانسان . وجاءت ورقة اكتوبر واشارت الى أن البشر هم الثروة القومية الاولى التى تحتاج الى المحافظة عليها وتكريمها بل وتنميتها باستمرار من خلال التثقيف والتعليم والتدريب ، ووضعت التنمية الاجتماعية التى تدور حول الانسان جنبا الى جنب من حيث الاهمية مع التنمية الاقتصادية وشددت على أهمية بناء المجتمع المفتوح الامن الذى ينعم فيه الانسان المصرى بالحرية ويطمئن فيه على يومه وغده .

ومن ناحية أخرى كانت معالجة ورقة أكتوبر لقضية الديمقراطية أحد ملامحها البارزة فالحرية السياسية لم تتحقق على النحو الذى تطلع اليه الانسان المصرى بل ان مراكز القوى قد فرضت وصاية على الجماهير وحالت فى احيان كثيرة دون مشاركتها الحقيقية فى مناقشة قضاياها المصيرية وتعرض كثير من المواطنين تحت مبررات مختلفة لمصادرة حرياتهم . وقد حددت ورقة اكتوبر العلاقة بين الحرية السياسية والحرية الاجتماعية بوضوح حين اشارت الى انه لا معنى للقمة العيش اذا فقد الانسان حريته السياسية كما أنه لا معنى للحرية السياسية للجائع الذى يضطر الى بيع صوته فى الانتخابات . وفى هذا الاطار عالجت الورقة قضايا سيادة القانون ودعم وتنشيط الحوار داخل التنظيم السياسى بين قوى التحالف ورفع الرقابة من الصحف واقامة المؤسسات كتجسيد لتحول الثورة الى نظام واستقرار ولرسوخ قيمها ومبادئها فى وعى الجماهير .

ثم يبقى القول أن كلا من بيان ٣٠ مارس وورقة اكتوبر كان محاولة لتصحيح مسار التجربة ولكن المحاولة الاولى ووجهت بعقبات ومصاعب متعددة لم تقتصر على آثار الهزيمة فى يونيو ١٩٦٧ وما فرضته من مناخ وقيود ، بل كان من بينها ايضا ما فرضته مراكز القوى من اجراءات استثنائية كى تتمكن من احكام سيطرتها على المجتمع ، وهو ما أبقى مختلف النصوص القانونية عن حريات المواطنين بعيدة عن الواقع العملى ، وهو ما حال أيضا دون تحقق الممارسة الديمقراطية التى طالب بها البيان . ودون سيادة القانون التى دعا اليها ، تلك حقيقة يؤكدها كثير من أساليب العمل السياسى التى اتبعت فى تلك الفترة وانتشار ظاهرة الشللية والممارسات غير الديمقراطية وانشطة التنظيم السرى .

ولكن عقب اسقاط مراكز القوى وتحقيق انجاز اكتوبر اصبحنا ازاء اطار جديد للواقع . وقد عكست ورقة اكتوبر هذا الاطار بوضوح منهجا ومضمونا كما سبق أن اشرنا ، وحددت مهام العمل الوطنى فى المرحلة المقبلة فى ظل ظروف مختلفة وقدرة اكبر على الانجاز تتيحها التخلص من المعوقات السابقة . كما رسمت الورقة طريق تحقيق الاهداف التى لم تتحقق فى الممارسة من بيان ٣٠ مارس فى نفس الوقت الذى طرحت فيه اساليب واشكالا جديدة للحركة تتفق مع المتغيرات التى تحيط بنا والتى تحدد معالم الواقع الذى نحياه . □